النسوية الإسلامية ومصادرها المعرفية

إعداد: عبدالحميد عبدالسلام مهدي محمد احمد

المقال الحائز على المركز الخامس في دورة أسس ومصادر وتوجهات النسوية

تاريخ النشر: 27 / 05 / 2022م

مقدمة:

في الثامن من أكتوبر عام ٢٠٠٨م، قامت الأستاذة الجامعية الأميركية أمينة ودود بإمامة مجموعة مختلطة من المصلين في أوكسفورد بوسط بريطانيا،الأمر الذي أثار عليها الآراء والفقهاء من مختلف فضاءات العالم الإسلامي، لترد هي أن للمرأة الحق في الإمامة كما للذكر حسب اجتهادها الذي انقطعت به عن المجموع الفقهي في التراث، مطبقة على الواقع أحد تعريفات النسوية القائلة بأنها "تبني موقف مختلف من الموروث التاريخي الديني، السياسي، الاجتماعي والثقافي عن طريق إحداث قطيعة كلية معه، بكل مفاهيمه التي أنتجت الاستحقاقات المعرفية والتي بنيت على أسس (بطريركية/ أبوية ذكورية) .١ في هذا المقال سيتم تناول مفهوم المرأة في الفكر الغربي والفلسفة النسوية و بداياتها، ثم المحاولات التي تلت لتحويل ذلك النموذج الغربي إلى آخر إسلامي - "أسلمة النسوية" إن صح التعبير، ومدى تقارب أو تفاوت المعايير بين كلا الموقفين من حيث مصادر المعرفة والدوافع بالأساس.

١ «النسوية الإسلامية.. تقليد للغرب أم ثقافة أصيلة؟»» ، مقال منشور بتاريخ ٦/٩/٢٠١٧، سامح عودة، موقع الجزيرة نت.

"الأراء الواردة في الورقة لا تعبر بالضرورة عن إدارة مركز تأسيس للدراسات والنشر"

المرأة في الفكر الغربي شيء عن البدايات:

يعرف قاموس كامبريدج الفلسفة النسوية على أنها "الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل دون خبرة المرأة". وهي الفلسفة التي تعكس، بهذه الصورة، خبرة المرأة الفكرية والثقافية تجاه الموضوعات والمشكلات للتحرر من الهيمنة الذكورية على المسار الفكري واستعادة الدور النسوي المتجاهل داخل التاريخ الحضاري للغرب. وتعتبر التفسيرات البطريركية لقضية الخلق - وقضايا أخرى- في التصور المسيحي الغربي أحد أبرز المحفزات النسوية ضد الدين، فالمرأة - حسب هذه القراءة - هي الغواية التي أخرجت آدم من جنته وأورثت البشرية كلها نسلا يحمل الخطيئة، فكان لزاما عليها الخضوع المطلق لسلطة الرجل وتهميشها التام عن أي دور محوري في هذا العالم، الأمر الذي انعكس بدوره على الرؤية الفكرية تجاه الأنثى؛ حيث تموضعت الأنثى في ثنائية ديكارت بين العقل والمادة في موقع المادة ككائن جسدي غير عقلاني بالمرة، وهو ما لم يبتعد عنه جان جاك روسو كثيرا حين ميز الطبيعة الأنثوية عن الطبيعة الذكورية بأن الأولى تنحصر في غرضي الجنس والإنجاب، وأن الأخيرة تتحدد في القدرة العقلية اللامحدودة." [1]

من هنا يتضح كيف يمكن أن نتوقع استباقا نشوء التعارضات والتناقضات التي ستحدث عند محاولة التوفيق بين تلك الرؤى والتصورات الاسلامية لدور المرأة ومكانتها؛ وكيف أنه من التعقيد بمكان وربما الاستحالة الوصول لمنطلق مشترك بين الفكرين النسوي العلماني والإسلامي، وفيما سيأتي تفصيل لمفاهيم ومنطلقات النسويات الاسلاميات ومحاولات التوفيق.

الفكر النسوي الاسلامي في عيون ممثلاته:

لعل من الطبيعي أن أول ما انعكس عليه هذا المفهوم الجديد، هو محاولة تقديم قراءة جديدة للقرآن، كمحاولة لتبيئته داخل السياق الإسلامي. فى هذا الإطار، قام العديد من الباحثات المسلمات بوصف ما وجدنه من مساواة جندرية في القرآن والعدالة الاجتماعية المرتبطة بها على أنها نسوية اسلامية، كما حاولت أخريات البعد عن هذا المصطلح بتقديم قراءة أنثوية للقرآن وغيره من النصوص المقدسة.

ومن اللافت للانتباه أنه ليست كل من تدافع عن النسوية الإسلامية وتتبناها بالضرورة ترى نفسها إسلامية. يمكن القول إن العديد ممن انخرطن في مفصلة خطاب النسوية الإسلامية ومارسنه أكدن هويتهن الإسلامية من البداية. ولا ترى فاطمة مرنيسي، مؤلفة كتاب "المرأة والإسلام: تحقيق تاريخي وعقيدي (نشر أولا بعنوان الحريم السياسي في ١٩٧٨، وبالإنجليزية عام ١٩٩١)، لا ترى منتجة النص المؤسس للنسوية الإسلامية أنها نسوية اسلامية، فهي نسوية علمانية. فالانتماء الفكري يتغير، فبعض منتجات النصوص النسوية الإسلامية اللاتي كن دوما يعرفن أنفسهن بسلاميات، عزفن عن هذه الهوية في الأونة الأخيرة، ويرى البعض أمينة ودود، عالمة الدين المسلمة الأمريكية من أصول أفريقية دليلا على ذلك. إلا أن دعاة النسوية دائما ما احتفظوا بمساحة للدين بداخل تنظيراتهم. فقد استطاع الخطاب النسوي المؤسس في مصر أن يرتكز على الخطاب الإصلاحي الإسلامي والخطاب العلمانى القومى. وعادة ما يعرض النسويون العلمانيون (عادة ما يطلق عليهم نسويون بدون إضافات) أطروحات إسلامية في مطالبتهم بحقوق المرأة في التعليم والعمل والحقوق السياسية بالتوازي

١ المصدر السابق.

"الأراء الواردة في الورقة لا تعبر بالضرورة عن إدارة مركز تأسيس للدراسات والنشر"

مع الخطاب القومى. فعندما يلتمس النسويون أية تغييرات فيما هو سائد بشأن الشخصية الإسلامية عادة ما يقدمون أطروحات إسلامية تعزز مطالبهم في محاولات توفيقية بين النصوص والواقع١ .

يمكننا أن نستدرك من هنا أن هؤلاء النسويات إن أردن أن يكن إسلاميات مجبرات على إيجاد "تسوية بين التزامهن بالمساواة بين الجنسين وعقيدتهن الدينية. فهن بشهادة بعض النشطات "يخضن تجربة يمككنا توقع صعوبة إيجادها في خضم سعيهن إلى صياغة خطاب خاص بهن يجمع بين جوانب الواقع المعيش والديني والحقوقي." وهذا ما يكشف أن عمل النسويات الإسلاميات "توفيقي"، أي أنه يسعى إلى تحقيق معادلة صعبة بين مختلف هذه الجوانب من أجل إيجاد حلول وسطى تجمع الواقعي بالديني والحقوقي.٢ و تحدث الباحثون عن أن هناك أسبابا عديدة لظهور النسوية الإسلامية، منها ما يشبه إلى حد كبير أسباب ظهور الحركة النسوية في الغرب - كسيادة الأنظمة الأبوية وتحجيم دور المرأة في المجتمع، وما تتعرض له المرأة من قهر على أساس ديني واجتماعي. وتقول دكتورة أماني عبد الرحمن صالح، أستاذة العلوم السياسية المساعدة ورئيسة جمعية دراسات المرأة والحضارة والباحثة في النسوية من منظور إسلامي، إن النسوية الإسلامية تنخرط في المرحلة الحالية في عمليتين: "تأويل النصوص المقدسة (القرآن والسنة) من منظور غير ذكوري وغير معاد للنساء، ونقد التراث (الممثل فيما هو دون القرآن والسنة من علوم إسلامية) لغربلة عناصر الانحياز الموجودة وكشف جذورها الثقافية والتاريخية النسبية، ما يفتح الباب أمام اجتهادات معاصرة تخلو من الانحيازات."٣، أي هم بالاساس منطلقون من دعوى عدم انصاف النص الاسلامي للمرأة.

خاتمة

عندما لا تشترك الأسس المعرفية بين الفلسفة النسوية و محاولات أسلمة النسوية، لا يمكننا إذا التقييم وفق ما بيدو على السطح من عمليات إدارية ، فالأصل في البدء غير صالح لايجاد أرضية مشتركة بين المفهومين. خصوصا إذا انطلقت من مفاهيم براغماتية، أو انطلاقا من أفكار نظرية التطور؛ وذلك بالضرورة سيحصل. والبرامج الموضوعة لخدمة المفهوم النسوي التي تخدم أجندات الحركة النسوية. فمحاولة تفريغ المفهوم من مصادر نشأته واستبداله بالمضمون الاسلامي سيحدث ذلك التشوه الفكري في محاولات المساواة و عدم المساواة بين الرجل والمرأة في نفس الوقت وفقا للتصورين." ٤

١ «النسوية الإسلامية، اشكاليات المفهوم ومتطلبات الواقع» ، مقال منشور بتاريخ ١/١٠/٢٠١٦، نورهان عبدالوهاب، مؤمنون بلا حدود، مؤسسة دراسات وابحاث - بتصرف

٢ «االنسوية الإسلامية، مشاغلها وحدودها» ، مقال منشور بتاريخ ٢٧/٧/٢٠١٨، وفاء الدريسي، مؤمنون بلا حدود، مؤسسة دراسات وأبحاث.- بتصرف

٣ «النسوية ما معلى أن تنطلق من منظور إسلامي» ، مقال منشور بتاريخ ١١/١/٢٠٢٢ سمية نصر، بي بي سي نيوز عربي.

٤ « مقارنة المصادر المعرفية للنسوية والإسلام وعلاقتهم بمفهوم العدالة الاجتماعية»، محاضرة بتاريخ ٥/١٢/٢٠٢١ للدكتورة عائشة وزوز، مركز تأسيس للدراسات والنشر.

"الأراء الواردة في الورقة لا تعبر بالضرورة عن إدارة مركز تأسيس للدراسات والنشر"